المغنيات ودورهن في دولة سلاطين المماليك
عصر أبناء الناصر محمد بن قلاوون
(٧٤١-٧٦٢هـ/١٣٤١-١٣٦١م)

د. حسن أحمد عبد الجليل البطاوي (*)

هذا البحث يلقي الضوء على قضايا مهمة في تاريخ دولة سلاطين المماليك، وتختص هذه القضايا بالجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والفنية. فهي تقدم سبباً من أسباب الاضطرابات السياسية والعسكرية التي جرت في دولة سلاطين المماليك أثناء حكم أبناء الناصر محمد بن قلاوون.

ثم نتعرف البذور الأولى للتدهور الاقتصادي الذي أصاب البلاد وكان سبباً وراء سقوط تلك الدولة فيما بعد، والذي جاء جراء الانهيار السياسي والإداري للفترة موضوع الدراسة.

ثم إن الموضوع يقدم صفحة عن حالة اجتماعية عاشتها البلاد ممثلة في الحياة الخاصة للسلاطين، وأثر هذه الحياة على عوام الشعب. هذا فضلاً عن إلقاء الضوء على النشاط الفني في تلك الدولة خلال فترة الدراسة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي البداية تجدر الإشارة إلى أن المغنيات هن الجواري اللواتي يقمن بالغناء، وعرفت المغنيات في المصادر المعاصرة باسم المغاني. وسماع المغاني أي سماع المغنيات، والكلمة محمولة على الغناء المعروف بين أهل اللهو واللعب، أو أرباب الملاهي. والغناء من الصوت هو ما طُرب به، ويقال غنى فلان أغنية، وتغنى بأغنية حسنة، وجمعها الأغاني. ولما كان الغناء مرتبطاً بالموسيقى فإن كثيراً من المغنيات كن يجدن استخدام آلاتها[١].

وأسواق الرقيق كانت المصدر الأساسي للجواري اللواتي يصبحن مغنيات فيما بعد، وكانت سلعتهن رائجة، فالعاملات في تقيين[٢] الجواري يذهبن إلى أسواق الرقيق وينتقين الجواري اللواتي تراهُن مناسبة للغناء، فتختبر صوتها ، وتتفحص جمال وجهها وظرفها، ثم ترى مهاراتها في استخدام آلات الطرب، واذا كانت الجارية تحسن الغناء فإن ثمنها يتضاعف[٣].

(*) أستاذ مساعد تاريخ العصور الوسطي بكلية الآداب جامعة أسيوط.

وتدخل الجارية في مراحل متعددة من التدريب المستمر حتى تصبح مغنية، فتتعلم القراءة والكتابة والأدب والشعر، فضلاً عن فنون أخرى تضيف إليها حسناً وظرفاً. وأما من تتفوق منهن على غيرها من الجواري في تحصيل ما تعلمته، علاوة على امتلاكها صورة وصوتا حسناً، فإنها تلحق بجواري الحاكم أو أحد الأمراء فيلمع نجمها، وإذا كانت ذات حظ أوفر فإنها تملك ثروة ونفوذاً جراء التحاقها بدائرة السلطة[٤].

وأقبل سلاطين المماليك على سماع المغاني إقبالاً زائداً عن الحد، ولم يكن هؤلاء المماليك مستحدثين لهذا الأمر، وإنما ورثوه عن سابقيهم من بني العباس والفاطميين والأيوبيين. وشجعهم على ذلك توافر الجواري المغنيات داخل سلطنتهم، وقلدهم في ذلك أمراؤهم وكبار رجال الدولة والموسرون من الشعب[٥]. ولاشك أن اهتمام ذوي السلطة والنفوذ والمال في دولة سلاطين المماليك بالغناء والمغنيات رفع من قدر هؤلاء النساء، وحظين بالاهتمام والرعاية، وجمعن ثروات طائلة ونفوذاً عريضاً.

وأصبح سوق الجواري رائجاً، وزاد الاقبال على اقتنائهن، فتوافر عدد كبير من هؤلاء المغاني اللواتي اتسع نشاطهن في مختلف أرجاء دولة سلاطين المماليك. وترتب على ذلك اتجاه الدولة إلى تقنين عمل هؤلاءالمغنيات، وإدرج نشاطهن ضمن الأنشطة الرابحة والتي ينبغي أن تدفع من ترغب في ممارستها ضريبة. ولما كانت هذه الضريبة غير شرعية فقد دخلت تحت نظام الضمان[٦]. وعرفت الضريبة بضمان المغاني أو مقرر الملاهي والأفراح [٧].

هذا وقد در ضمان المغاني أموالاً طائلة لهذه الجهة[٨]، فذكر المقريزي أن ضامنة المغاني تحصل عن فرح واحد خمسمائة درهم فما فوقها، بحسب حال أهل العريس، هذا فضلاً عن المناسبات الأخرى التي شاركن بالغناء فيها[٩]. وأكد ابن حجر على هذا المعنى، فقال إن أحداً لايستطيع أن يقيم عرساً بدون دفع عشرين إلى ثلاثين مثقال ذهب[١٠].

وحرصاً من الدولة في عهود عدد كبير من السلاطين على تحصيل الأموال من هؤلاء المغاني فإنهم أولوا ضمان المغاني عناية فائقة، وحرصوا على ترتيب العمل به، وإخضاعه للمراقبة الصارمة. وبلغ الأمر حداً أنه ما من مناسبة يقام فيها فرح إلا ودفع صاحبه مالاً باسم مقرر الملاهي والأفراح. وجرى الأمر على أن واحدة من النساء تتولى مهمة ضمان المغاني، وذلك كونها سيدة ومحترفات الغناء هن من الجواري، وغالباً ما كانت ضامنة المغاني واحدة من المغنيات اللواتي تقدم بها العمر فلم تعد مرغوبة للغناء. وكانت ضامنة المغاني تسجل أسماء المغنيات لديها، وعلى كل مغنية ضريبة مقررة تدفعها للضامنة[١١].

وفرضت رقابة صارمة على المغنيات حتي لايغنين بدون دفع الضريبة المقررة، وتولت الضامنة وفريق عمل لديها مهمة المراقبة، فكن يذهبن إلى بيوت المغاني ليلاً للتأكد من وجودهن، وإن لم تكن واحدة منهن في منزلها اعتبرت في مهمة عمل، وتقرر عليها دفع الضريبة عن هذا العمل[١٢].

والواقع إن ضريبة المغاني كانت محل نقد من وجهة نظر كثير من الخاصة والعامة، كما لم يقبل بعض السلاطين بوجود هذا النشاط. وكان الناصر محمد بن قلاوون واحداً من هؤلاء السلاطين فقد ألغى هذه الضريبة سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م عندما لمس الظلم الذي تسببه لبعض الناس، فضلاً عن الرذائل التي ترتكب مصحوبة بها، ولكن عاد العمل بها مرة أخرى بعد هذا التاريخ(١٣).

وتجدر الإشارة هنا إلى أمر مهم، وهو ارتباط الغناء باللهو، إذ إن طبيعة العصر كانت تلقي بظلالها على الغناء، وكذا على الاحتفالات عموماً والخروج إلى المتنزهات. وكانت آراء الفقهاء وفتاواهم تنطلق صارمة تجاه الغناء وأربابه والمشاركين في مجالسه. والحقيقة إن الغناء في الأفراح والملاهي والاحتفالات ومواضع التنزه والمجالس الخاصة كان مصحوباً في أغلب حالاته بوقوع تجاوزات ومفاسد أخلاقية؛ مثل شرب الخمور والحشيش وارتكاب الفواحش وغير ذلك. ولما كانت المغنيات يقمن بالغناء في هذه المناسبات فإنهن حملن وزر هذه الجرائم، وارتبط الغناء بالبغاء، وأصبحت المغنيات عنواناً للهو والفجور(١٤).

والحقيقة إن عامة الشعب أخذوا حظهم من سماع المغنيات، ولكن نشاط المغنيات وأثره البارز هو ذلك النشاط الذي لعبنه في حجور أصحاب السلطة، واعتنى برصده مؤرخو تلك الفترة، وهو الذي ركزت الدراسة عليه هنا. فنجد الناصر محمد بن قلاوون، اعتنى بالجواري عموماً والمغنيات منهن على وجه الخصوص، فاشترى أعداداً كثيرة منهن، واختص بواحدة تدعي دينا، كانت حاذقة في الغناء، وبلغ اهتمامه بها درجة جعلت البعض يقول إنه تزوجها(١٥). وكذا أعجب بواحدة أخرى تدعي طغاي، وبلغ إعجابه بها حد الشغف، ثم تزوجها فكانت أقرب زوجاته إلى قلبه، وأنجب منها ولده آنوك، وهذا الولد فاق حبه في قلب والده حب إخوانه الآخرين. ثم إن أبناء الناصر الآخرين أنجبهم من جواريه أيضاً، وعلى سبيل المثال، فإن أم ابنه أحمد مغنية تدعي بياض، وهي ليست إلا جارية كانت تجيد الغناء، فاشتراها واختص بها وأنجب منها ولده هذا، ولايستثنى من أولاده سوى الصالح صالح فإن أمه هي ابنة الأمير تنكز(١٦).

وكذلك امتلك أمراء المماليك جواري مغنيات كثيرات، وأنفقوا على شرائهن مبالغ طائلة. ومن ذلك أن الامير بكتمر الساقي(١٧) أعجبته جارية تدعي خوبي، كانت بارعة في الغناء وضرب العود فاشتراها بعشرة الآف دينار مصرية. وأما الأمير بشتاك(١٨) فإنه انتظر حتى واتته الفرصة بوفاة بكتمر الساقي، فاشترى جاريته خوبي بستة الآف دينار، مضافة إلى ما كان عنده من الجواري اللواتي زاد عددهن عن ثمانين جارية(١٩).

عصر أبناء الناصر محمد:

بدأ عصر أبناء الناصر محمد بن قلاوون بتولي ابنه أبي بكر السلطة بعد وفاة والده في ذي الحجة سنة ٧٤١هـ/مايو ١٣٤١م. وانتهى عصرهم بمقتل الناصر حسن في جمادى الأولى سنة ٧٦٢هـ/مارس ١٣٦١م، وهو أخر أبناء الناصر الذين تولوا السلطنة، ثم خلفه عدد من أحفاد الناصر.

وبالرغم من اهتمام المماليك بالمغنيات، اقتناءً وتربيةً وإيثاراً، فإن فترة حكم أبناء الناصر محمد هي الفترة الأبرز في تاريخ دولة سلاطين المماليك من حيث الاهتمام بالمغنيات، واللهو في حضرتهن، وهي الفترة التي لعبت فيها المغنيات دوراً بارزاً في تاريخ هذه الدولة، فامتلكن قلوب السلاطين المراهقين والشباب من أبناء الناصر، وتحكمت بعضهن في مور مهمة من مقدرات البلاد. وانعكست تدخلاتهن على جوانب عدة من أوضاع البلاد بصورة سلبية، وهو الأمر الذي سيتضح من خلال العرض التاريخي الآتي.

تولي أبوبكر السلطة بعد وفاة والده مباشرة، وكان شاباً بلغ عمره حوالي العشرين سنة. انشغل أبو بكر بالغناء والمغنيات، وتحولت مجلسه إلى مجالس سكر وعربدة. فاختص بنفر من الغلمان[٢٠] أسند إليهم مهمة إحضار المغنيات ليلاً له ولندمائه. وانخرط في لهوه بدون وعي، وعدم إدراك لموقعه أو لمسئولياته، وتناقلت ألسن الناس إنحرافات السلطان. وتحركت غائرة النفوس في صدور كبار الأمراء، ونصحه بعضهم بالتخلي عن مصاحبة المغنيات، والبعد عن اللهو والسفه. ولكن السلطان أخذته العزة بالإثم، ولم يكن ذا أذن صاغية لتلك النصائح الرشيدة، واستمر على لهوه، بل زاد على ذلك فتجاهر بفسوقه. واتخذ سوء سلوك السلطان حجة عند بعض الأمراء وعلى رأسهم الأمير قوصون[٢١] لخلع السلطان. فخرجوا عليه وخلعوه في صفر سنة ٧٤٢هـ/يوليو ١٣٤١م. وبذلك خسر المنصور أبوبكر عرشه بسبب انهماكه في اللهو مع المغنيات، وانشغاله بهن عن إدارة أمور البلاد[٢٢].

واختار الأمراء أخوه كجُك ونصبوه سلطاناً، ولقبوه بالملك بالأشراف، وكان عمره حوالي خمس أو ست سنوات فقط. وهو ما يعني أنه كان طفلاً صغيراً أثناء سلطنته، وليس معنياً بأمر المغنيات، وما يجري في محيطهن من تجاوزات. هذا فضلاً عن أنه لم يستمر في السلطنة سوى خمسة أشهر وأياماً، وخلعه الأمراء، واختاروا أخاه أحمد بدلاً منه في أول شعبان سنة ٧٤٢هـ/يناير ١٣٤٢م، ولقبوه بالناصر[٢٣].

وكان الناصر أحمد هذا شاباً يافعاً عند توليه السلطنة، تزوج في حياة والده، ولم يكن والده راضياً عنه، فأرسله ليقيم في الكرك[٢٤]، وظل مقيماً بها، إلا من زيارات قليلة قام بها إلى القاهرة، وبقي على حاله حتى بعد وفاة والده. وفي خلال إقامته في الكرك عرف عنه شغفه بشباب أهلها، وانهماكه في معاقرة الخمور. وعندما تولى السلطنة كانت إقامته في الكرك أكثر من إقامته في القاهرة، وهناك استمر في لهوه ولعبه، واعتزل الناس من أجل ملذاته. وأما أمراء المماليك فإنهم وجدوا حجتهم في سوء سيرة الناصر أحمد للخروج عليه وخلعه، فخلعوه في المحرم سنة ٧٤٣هـ/يونيو ١٣٤٢م، وأقاموا أخاه إسماعيل سلطاناً، ولقبوه بالصالح. وبذلك لم يدم الناصر أحمد في السلطنة سوى خمسة أشهر وأياماً[٢٥].

المغنية اتفاق وثلاثة سلاطين:

ومع بداية حكم الصالح إسماعيل بدأت فترة هي الأكثر ظهوراً ونفوذاً وأثراً للمغنيات في دولة سلاطين المماليك. وتميزت هذه الفترة بظهور مغنيات بعينها أصبحن نجمات مجتمع، ومشهورات عند الخاصة والعامة في كافة أرجاء الدولة. وعلى رأس هؤلاء المغنيات واحدة تدعى "اتفاق"، تلك المغنية حظيت بمكانة مرموقة عند ثلاثة من السلاطين أبناء الناصر هم: إسماعيل وشعبان وحاجي، وتزوجت منهم جميعاً على التوالي كما سنوضح بعد.

وأشير في البداية إلى أن الصالح إسماعيل كان عمره قد تخطى السبع عشرة سنة حين تولى السلطنة، وأقبل على حب الجواري المغنيات، وأرباب الملاهي والمطربين عموماً، وانخرط في مجالس اللهو مع هؤلاء، وحرص على اصطحاب هؤلاء الجواري معه في رحلاته إلى أماكن التنزه والسرحات[٢٦]. بل إنه جعل لوالدته موكباً مهيباً من تلك النساء عند خروجها معه إلى إحدى السرحات. وبلغ عدد النساء المشاركات في موكب أم السلطان مائتي امرأة في كامل زينتهن، يرتدين الثياب الأطلس الملون، ويضعن على رءوسهن الطراطير الجلد المرصع بالجواهر واللآلئ. ويسير الخدام في صحبتهن منذ خروجهن من القلعة وحتى وصول الموكب إلى السرحة[٢٧].

وأما السلطان نفسه، فإنه كان يبالغ في تدليل حظاياه، واللعب واللهو معهن، فيجلب لهن الخيول العربية الأصيلة، ويدعوهن لركوبها والمرح عليها، ويفسح لهن المجال ليتسابقن بها، وتارة أخرى يركبهن بالكامليات الحرير ويلعبن الكرة[٢٨] بل إن السلطان بالغ في اللهو والعبث مع جواريه إلى حد فاق الوصف، وكثر سفهه معهن في المواسم والأعياد وأوقات التنزه ومناسبات الافراح[٢٩].

وعلاوة على ما سبق فإن الصالح إسماعيل سلك درب البذخ والإسراف في الانفاق على الجواري المغنيات، وجعل لهن الرواتب، وأنعم عليهن بعدة أرزاق[٣٠]. وكان لايغمض له جفن حتى يتأكد من حصولهن على إنعاماته وهداياه، فصارت لهن مهابة في نفوس كبار موظفي الدولة، وصارت كلمتهن نافذة، فيقضين ما يرغبن في قضائه من أمور الدولة، ويمنعن ما لايرغبن في قضائه، حتى وإن صدرت به مراسيم كبار الموظفين. واتجه أولوا الحاجات من أبناء الشعب إلى جواري السلطان ليقضين لهم حاجاتهم. وبلغ الأمر بالأمير الحاج آل ملك نائب السلطنة [٣١] أنه كان يتحسر على ما وصلت إليه البلاد من أوضاع مزرية، وما وصلت إليه نيابة السلطنة من انحطاط قدرها، في مقابل ما بلغته مغاني السلطان من نفوذ في إدارة أمور الدولة. وكان إذا جاءه أحد يطلب منه قضاء حاجة؛ كإقطاع أو مرتب أو غير ذلك، رد عليه في حسرة ساخرة قائلاً:"يا ولدي ! رح إلى باب الستارة ابصر طواشي، أو توصل لبعض المغاني تقضي حاجتك"[٣٢].

ثم إن الصالح إسماعيل كان يميل إلى الجواري السود، فإذا كان قد أقبل على المغنيات عموماً، وأكثر منهن في بلاطه، وشغف بهن، فإنه فضل السوداء على من

دونها من رفيقاتها، وأفرط في حبهن[٣٣]. وبالرغم من إن الصالح إسماعيل أكثر من شراء الجواري حتى بلغت عدتهن خمسمائة جارية فإنه اختص بالمغنية اتفاق، فحازت هذه المغنية إعجابه بدرجة فائقة، واتفاق هذه جارية سوداء حالكة السواد، كانت ماهرة في ضرب العود، فبلغت فيه درجة عالية، لا يفوقها فيه أحد، وامتلكت صوتاً جميلاً مع مهارة الغناء. فأقبل عليها السلطان، وشغف بها شغفاً زائداً، وأفرط في حبها وتدليلها، حتى نجحت في امتلاك قلبه وملكه، ولما كان على هذه الحال من الشغف بها، فإنه لم يتردد في الزواج منها[٣٤].

ولما كانت اتفاق على هذه الدرجة من المحبة والقرب من قلب السلطان الصالح إسماعيل، فإنه من الطبيعي أن يفتح أبواب خزان الدولة ليأخذ منها كل نفيس من الجواهر والهدايا الثمينة وينعم عليها بتلك الهدايا. ومن العجب أن السلطان توقع اللوم والمعارضة من بعض العقلاء من كبار رجال دولته، فرتب لهذا الأمر الاحتياطات اللازمة التي تستر عليه إسرافه وسفهه مع مغنيته، فاختار شخصاً تتوافر فيه الشروط المناسبة للقيام بمهام خاصة هي؛ حفظ سره مع اتفاق والتستر على سفهه، ثم يكون هذا الشخص مسئولاً عن إحدى الإدارات المالية الكبرى. ووجد السلطان ضالته في شخص جمال الكفاة ناظر الخاص[٣٥]، وجعل منه كاتم سر هواه مع المغنية اتفاق، وممولاً سخياً للأموال التي يحتاجها السلطان للإنفاق عليها. وازدادت أواصر الثقة بين السلطان وجمال الكفاة، ورأى السلطان أن يرفع قدره في الدولة، ويزيد في راتبه، فجعله مشير الدولة. ثم تمادى السلطان في منحه لجمال الكفاة، فأمر كاتب سره علاء الدين على بن فضل الله العمري أن يكتب لجمال الكفاة في توقيعه "الجناب العالي". ولم يكن من المعتاد أن يُكتب في مكاتبات الدولة وأوراقها لواحد من كتاب الديوان هذا اللقب، وإنما يُكتب للأمراء أصحاب الوظائف الكبرى[٣٦]. ولذلك أثار هذا الأمر حفيظة كاتب السر، واعتبره خرقاً لتقاليد الدولة، ورفض أن يخط هذا اللقب بيده. وأما الصالح إسماعيل فإنه أصر على تنفيذ ما أمر به، فبلغ بذلك جمال الكفاة مرتبة لم يبلغها أحد غيره من كتاب الدواوين في تلك الفترة من عمر دولة سلاطين المماليك[٣٧].

ونحج جمال الكفاة في استغلال علاقة الصالح اسماعيل بالمغنية اتفاق على أحسن ما يكون الاستغلال، فطلب من الصالح أن ينقله من رتبة الكتاب إلى الالتحاق بجماعة الأمراء، وأن يكون أمير مائة مقدم ألف[٣٨]. وهذا الأمر لم يحلم به كاتب قبله، ولم يكن هذا الطموح مشروعاً لكاتب في ظل نظام دولة سلاطين المماليك عسكرية الطابع. وما بلغه جمال الكفاة من طموح، وخروقات السلطان لتقاليد السلطنة، وانتهاك حرمتها، وتبديد أموالها من أجل مغنيته اتفاق، كل ذلك أثار حفيظة نفر غير قليل من أمراء المماليك على هذا الكاتب والسلطان معاً. واشتغلوا في التآمر على جمال الكفاة، وتصيد الأخطاء له، كل ذلك والسلطان يحوطه برعايته، ولايصدق فيه قالة السوء، أو ربما لايريد أن يصدقها. ولم ينجح المتآمرون في الوقيعة بين السلطان وجمال الكفاة إلا

عندما أثبتوا للسلطان أن هذا الرجل يفشي أسراره مع المغنية اتفاق، عندئذ خسر جمال الكفاة أمواله وحياته في صفر ٧٤٥هـ/يونيو ١٣٤٤م[٣٩].

والواقع إن اتفاق أخذت لب الصالح إسماعيل، فانغمس في لهوه وملذاته معها، تاركاً أوضاع البلاد في جوانب عدة في حالة اضطراب متزايد. فعلى الصعيد السياسي والأمني؛ تمردت قبائل عدة من عرب الصعيد والفيوم، وكذا نحت نحوهم قبائل أخرى في بلاد الشام. واضطربت الأوضاع الاقتصادية للبلاد، ما أدى إلى انهيار حالة العملة، وزيادة فرص غشها وزناً ونقاوة. وزادت الضرائب المفروضة على الشعب، وتضررت الحركة التجارية داخلياً وخارجياً، ولم يقبل البنادقة زيادة الضرائب المفروضة على تجارتهم، وانتظروا لعل الأوضاع تؤول إلى التحسن. ولما زادت الحال عما كانت عليه تقدموا بشكوى ينهون فيها إلى السلطان ما تكبدوه من خسائر جراء ما يدفعونه من ضرائب باهظة، ويرجونه شمولهم بعطفه، وتخفيف هذه الأعباء عن كواهلهم[٤٠].

ولم تفلح الجهود الإصلاحية التي تبناها الأمير الحاج آل ملك نائب السلطنة، فقد اصطدمت جهوده برغبة مغاني السلطان، الطامحات الجامحات، وكذا تعارضت جهوده مع رغبات بعض الأمراء الذين حرصوا على استمرار أوضاع البلاد على ما هي عليه من انشغال السلطان بمغانيه، ما يعود عليهم بالنفع، وتحقيق ما يصبون إليه من أطماع[٤١].

ولم ينه هذا الاحتقان إلا سقوط السلطان الصالح إسماعيل فريسة للمرض، وتزايد عليه المرض حتى عجز عن الحركة. وفي ربيع الآخر ٧٤٦هـ/أغسطس ١٣٤٥م لفظ السلطان أنفاسه الأخيرة، وعمره آنذاك كان قد بلغ العشرين. واتفق الأمراء على تنصيب أخيه شعبان سلطاناً، ولقبوه بالكامل. ومن المؤسف أن هذا الفتى سار على نفس الدرب الذي سار فيه أخوه إسماعيل. واستهل سلطنته بالاستيلاء على جواري أخيه، وخص نفسه بالمغنية اتفاق، وصرح بإعجابه بها منذ أن كانت تحت أخيه، فباتت عنده في أول ليلة له وهو على عرش السلطنة[٤٢].

وجرت علاقة الكامل شعبان بالمغنية اتفاق مثلما كانت عليه علاقتها بأخيه إسماعيل، فقدم لها الهدايا الثمينة، وعدد من العقارات والممتلكات وما شابه ذلك، فحققت ثروة طائلة، وكذا أصبحت سيدة ذات نفوذ واسع في بلاط السلطنة، بله في أرجاء البلاد كلها كما سنري بعد.

وأما عن ثراء اتفاق، فإن ما قدمه السلطان الكامل شعبان لها من هدايا نفيسه وثروات كانت مضرب الأمثال، ومثار عجب الخاصة والعامة، حتى قيل إنه لم يكن لامرأة في زمانها من الحظوة والسعادة مثلما كان للمغنية اتفاق. ومما قدمه لها السلطان من هدايا أنه أقام لها داير بيت[٤٣] طوله اثنين وأربعين ذراعاً، وعرضه ستة أذراع، وأنفق على تكلفته خمسة وتسعين ألف دينار مصرية، هذا فضلاً عما أضيف إليه من البشخانة والمخاد والمساند[٤٤]، ومن جملة ما تملكه اتفاق من الأغراض باهظة الثمن أربعون بدلة ثياب مرصعة بالجوهر، وست عشرة بدلة بداير زركش، وثمانون بدلة أخرى

مقنعة، بلغت قيمة بعضها عشرين ألف درهم، وأقلها قيمتة بلغ ثمنه خمسة آلآف درهم، هذا بالإضافة إلى أشياء أخرى ذات قيمة عالية(٤٥).

وإذا كان إسراف الكامل شعبان على المغنية اتفاق أمراً مثيراً للعجب، فإن ما يفوقه عجباً أنه خصها بجزء من الأموال التي صادرها من بعض الذين غضب عليهم من رجال دولته. ومن ذلك أنه في جمادى الأولى سنة ٧٤٦هـ/سبتمبر ١٣٤٥م أُلقى القبض على أحد الرجال الأثرياء، وصدر الأمر بمصادرة ممتلكاته، واختار السلطان واحدة من دوره العظيمة، وقدمها هدية لمغنيته المحبوبة اتفاق(٤٦).

ومن المؤسف أن الكامل شعبان اتبع سياسة مصادرة الأموال لتوفير ما يلزمه ليقدمه بين يدي مغنيته المحبوبة، ويبقى مغيباً في لهوه مع اتفاق ورفيقاتها. ومن المعروف أن الكامل شعبان كان ينفق أموالاً طائلة لإرضاء شهواته مع جواريه، وعلى رحلات التنزه التي بالغ في الإنفاق عليها، وطالت مدة إقامته في أماكن التنزه، ما جعله في حاجة مستمرة للأموال. ومن ذلك على سبيل المثال، أنه خرج في مستهل في جمادى الأخرة سنة ٧٤٦هـ/٢٩ سبتمبر ١٣٤٥م إلى سرحة سرياقوس، واصطحب معه حريمه، وأمر بنصب الخيام لهن في البساتين، وأخلى لهن المناظر المخصصة للأمراء، فنزل أكثرهن بها. وفي هذه الرحلة انشغل السلطان بتحصيل ملذاته، واقتفى المماليك أثر سلطانهم، فأسرفوا في شرب الخمور، والمجاهرة بارتكاب الفواحش، وساءت سيرتهم في الناس(٤٧).

وتابع الكامل شعبان السعي وراء شهواته فقرر الزواج بواحدة من بنات المماليك المعروفات بالجمال. وفي شعبان ٧٤٦هـ/ديسمبر ١٣٤٥م جرت الاحتفالات بمناسبة زواج السلطان، وكانت الفرصة مواتية لكي تضج القلعة سبعة أيام بلياليها من الاحتفالات البهيجة التي أقامها السلطان. واجتمع في هذا العرس عدد ضخم من المغنيات، وعلى رأسهن اتفاق. وأطلق السلطان يده للانفاق بسخاء على المغنيات، فحصلن على هدايا نفيسة من الذهب والفضة والحرير، هذا فضلاً عن هدايا أخرى يجل وصفها. وبلغ نصيب ضامنة المغاني بمفردها من هدايا السلطان ثمانين ألف درهماً، بالإضافة إلى ما أخذته المغنيات الأخريات(٤٨).

ولما كان السلطان يذوب عشقاً في مغنيته اتفاق، فإنه لم يدع فرصة أو مناسبة تفوته بدون أن يقدم لها هدية تعبر عن مكنون قلبه. فبعد خروجها من عرسها السابق ذكره بهدايا ثمينه، إذا بالكامل يقدم لها هدية في رمضان من نفس العام عبارة عن دولابين كانا ملكاً لأحد رجال الدولة، وعوض صاحبهما بثمانية وعشرين ألف درهم(٤٩).

وما أن انتهي شهر رمضان سنة ٧٤٦هـ/يناير ١٣٤٦م حتى عاد الكامل شعبان إلى سابق عهده في إقامة الاحتفالات. ومن ذلك أنه أقام حفلاً ضخماً في ذي القعدة احتفالاً بزواج طواشي من جارية من مماليكه. وحضر السلطان العرس، وكعادته اصطحب اتفاق ورفيقاتها، وأنفق عليهن في هذا العرس أموالاً طائلة، ونثر فيه الذهب على العروسين(٥٠).

ولازالت المغنية اتفاق صاحبة المكانة لدى السلطان، فعندما صودرت أموال الأمير قماري نائب طرابلس[٥١]، ووصلت خزائنه إلى القلعة في المحرم سنة ٧٤٧هـ/مايو ١٣٤٦م أخذ الكامل منها قماش نساء هذا الأمير وقدمه هدية لاتفاق وبعض المغنيات الأخريات. ثم خص اتفاق بثروة نائب طرابلس، والتي بلغت ما يصل وزنه إلى سبعين مثالاً من الجوهر[٥٢].

وبالغ السلطان في احتفائه بالمغنية اتفاق حداً فاق الوصف، وانشغل باللهو معها هي وصواحبها عن إدارة شئون البلاد. ومن ذلك أن اتفاق أنجبت للسلطان ولداً في ربيع الأخر سنة ٧٤٧هـ/أغسطس ١٣٤٦م، ففرح بمولوده فرحاً عظيماً، ويبدو أنه كان في طريقة إلى إقامة احتفالات أسطورية تعجز عنها خزائن الدولة، وتثير حفيظة نفر من المماليك، لذلك نصحه الأمير أرغون العلائي[٥٣] زوج أمه ومدبر دولته بالتوقف عما يسعي اليه، واختصر السلطان احتفالاته فجاءت في سبعة أيام. وأما اتفاق أم الولد[٥٤] فقد أقام السلطان لها بشخانه ودايرة بيت، وغشاء مهد الولد، وقماطة، تكلفت ستة وثمانين ألف دينار. هذا فضلاً عما أنفقه على أرباب الملاهي الذين شاركوه احتفاله بمولوده الأثير[٥٥].

وبذلك قضى الكامل شعبان سلطنته شغوفاً باللهو واللعب وسماع الأغاني، والميل إلى المغنيات، والوقوع تحت تأثيرهن، وسعى ما وسعه السعي نحو تحقيق رغباتهن. فخرج بهن إلى أماكن التنزه والصيد ولعب الكرة، وهن على أحسن ما يكون من الزينة، هذا مع عدم التزامهن بالآداب العامة التي انتقدها المعاصرون[٥٦]. كما أطلق أيديهن في أخذ أموال الناس، كالبساتين والرزق والدواليب ونحوها. ومن ذلك على سبيل المثال أن المغنية اتفاق أخذت عدة ممتلكات كانت ملكاً لأحد الأثرياء، وسارت أم السلطان على نهجها، فأخذت من هذا الرجل أيضاً بعض الممتلكات الأخرى[٥٧].

وأصبح من المتوقع أن تأتي نهاية السلطان الكامل شعبان جراء اتباعه شهواته، وانصرافه إلى اللهو واللعب، والإسراف بسفه على المغنيات. كما سعى بكل جهده لإرضاء رغباتهن، وتنفيذ ما يطمحن إلى تحقيقه. ومن ذلك أنه اتخذ قراراً في نهاية سنة ٧٤٦هـ/مارس ١٣٤٦م بالخروج إلى الأراضي الحجازية لأداء فريضة الحج مدفوعاً برغبة نسائه. وسعى الكامل شعبان إلى إعداد تجهيزات أسطورية لهذه الرحلة، ولما كانت خزانة الدولة لا تفي بتغطية نفقاتها، فإن السلطان لجأ إلى مصادرة الأموال. ومع مطلع سنة ٧٤٧هـ/أبريل ١٣٤٦م اشتد في مطالبة أهل النواحي بتجهيز متطلبات سفره إلى الحجاز، والإسراع في توفير الأموال من مصر وبلاد الشام جميعاً[٥٨].

والواقع إن السلطان وجد من بين أمرائه مخلصين نصحوه بتأجيل حجه، وهؤلاء الأمراء مدفوعون بعلمهم أن أوضاع البلاد الاقتصادية لاتحتمل مثل هذه النفقات التي يعتزم السلطان إنفاقها، وأبلغوه أن الزراعة في البلاد قد تضررت وتراجع إنتاجها، وأن بعض العربان خرجوا عن طاعة الدولة. ولكل هذه الأسباب لايجب عليه أن يخرج إلى الحجاز، واقتنع السلطان بمشورة ناصحيه، وتراجع عن قرار سفره[٥٩].

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجاءت الطامة على حياة السلطان وملكه من قبل نسائه، فقد رفضن فكرة تراجعه عن السفر، وأخذن في تقوية عزمه على متابعة الاستعدادت اللازمة. ومن المؤسف أن السلطان مال إلى رغبة نسائه، ولم يقدر أوضاع البلاد بما تستحق من الاهتمام. وخرجت كتبه إلى أرجاء الدولة، بإعلان النواب قرار سفر السلطان إلى الأرضي الحجازية، ويأمرهم بتجهيز ما يحتاج إليه. هذا القرار أزعج أمراء الدولة وكبار موظفيها، وعكر صفو الناس جراء ارتفاع الأسعار لهذا القرار، وتوقفت أحوال البلاد. وللمرة الثانية حاول عدد من عقلاء الأمراء إقناع السلطان بالتخلي عن السفر هذا العام، ولكنه لم يقو على مخالفة رغبة نسائه. وقرر عدد من الأمراء الخروج عن طاعة السلطان، وتبعهم عدد آخر، وتزايد عدد الأمراء المتمردين، واشتعلت الفتنة بين السلطان وهؤلاء الأمراء، واشتبك المعسكران في قتال عنيف. وفي نهاية المطاف نجح الأمراء في الانتصار على السلطان، وألقوا القبض عليه، وقتلوه في جمادى الأخرة سنة ٧٤٧هـ/سبتمبر ١٣٤٦م. ثم نصبوا أخاه حاجي سلطاناً، ولقبوه بالمظفر، وعمره آنذاك حوالي خمس عشرة سنة[٦٠].

ولما كان شطط المغنية اتفاق وهواها من الأسباب القوية التي أودت بالسلطان الى التهلكة، وأثرت سلباً على أوضاع الدولة، فإنه مع جلوس المظفر حاجي على عرش السلطنة صدر الأمر بطردها من القلعة، ثم مصادرة ما بحوزتها من أموال، فأخذوا منها أربعين بدلة مكللة بالجواهر واللآلئ، وثمانين بدلة مقنعة، بلغ ثمن أقلها مائتي دينار، ووصل أجودها إلى ما يزيد عن ألف دينار، واستردوا منها أيضاً ما أخذته من الناس[٦١].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعد أشهر قلائل من تولي المظفر حاجي السلطنة سار في الطريق الذي سلكه إخوته الذين جلسوا قبله على العرش. ففي أوائل شوال سنة ٧٤٧هـ/يناير ١٣٤٧م تزوج ابنة الأمير تنكز، وهي أرملة أخيه شعبان، ثم في أواخر الشهر نفسه انخلع عن ثوب الحياء، وطلب المغنية اتفاق معشوقة أخويه إسماعيل وشعبان، وصعدت اتفاق إلى القلعة وجواريها يصحبنها مع الخدام، وتزوجها السلطان في الخفاء، واحتفل بها السلطان احتفالاً بهيجاً، فكشف عن وجهها، وفرش تحت قدميها ستون شقة أطلس، ونثر عليها الذهب. وتقدمت اتفاق المشهد فضربت بعودها، وشدت بصوتها، فأعجب السلطان بأنغامها، فأنعم عليها بأربعة فصوص وست لؤلؤات، قدر ثمنها بأربعمائة ألف درهم[٦٢].

ثم أمر المظفر بإعادة المرتبات التي قطعت عن اتفاق وجواريها وخدامها إليهن. وأعاد مجالس الغناء إلى القلعة، وانهمك في اللهو والإنفاق على أرباب المغاني. وشغف باتفاق شغفا شغله عما دونها من النساء، وملكت قلبه بفرط حبه لها. ولما رأى الأمراء ما دهى السلطان من هيامه بتلك المغنية صرحوا بانتقادهم لمسلكه هذا، وغضب السلطان غضبا شديدا لمّا بلغه انتقادهم إياه، ولولا تدخل بعض العقلاء منهم لاشتعلت الفتنة بين السلطان وأمرائه[٦٣].

وعلى كل حال، فإن نهاية سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦-١٣٤٧م شهدت تدهورا ملحوظا لاقتصاد دولة سلاطين المماليك، ولم يعد في استطاعة خزانة الدولة تحمل النفقات الباهظة التي ينفقها السلطان على مغنيته وجواريها ومجالس لهوه معهن. واتخذت الدولة إجراءات تقشفية لعلها تفيد في إعادة اقتصاد البلاد إلى نصابه الصحيح(٦٤).

ولم يعد أمام كبار الأمراء إلا التدخل بالنصح لدى السلطان ليعدل عن سلوكه تجاه مغنياته، وينتهي عن اللهو والإسراف في الإنفاق عليهن. وأصغى السلطان إلى بعض من ذكروه باحتمال وقوع فتنة لا تحمد عقباها على ملكه وحياته شخصيا، وأن هناك بعض الأمراء لايأمن لهم مكرا. وقبل السلطان نصيحتهم على مضض، وظهر وكأنه وعى دروس الماضي مما جرى على بعض إخوته السابقين. ورسم السلطان بإخراج المغنية اتفاق، واثنتين أخريين من حظاياه؛ واحدة تدعى سلمى، والأخرى معروفة بالكركية. أخرجهن وهو مجبر على ذلك غير مخير، وضائق بهذا الأمر صدره. وأما هؤلاء المغنيات فقد خرجن بدون أن يحملن شيئا مما حصلن عليه من هدايا جوهر وزركش. بل أجبرت اتفاق على نزع عصابتها عن رأسها، وهي عصابة مشهورة عند الخاصة والعامة بقيمتها الغالية، فقد صنعتها من الهدايا التي أخذتها من الصالح إسماعيل والكامل شعبان ثم المظفر حاجي. وكانوا جميعا أسخياء في هداياهم لها، فبلغت قيمة هذه العصابة مايزيد على مائة ألف دينار مصرية(٦٥).

وبرغم طرد اتفاق من القلعة، وابتعادها عن حجور السلاطين، فإنها لم تكن امرأة عادية ككل النساء. بل إنها ظلت تحتفظ بشيء جذب الرجال المرموقين إليها. فتزوجها الوزير موفق الدين هبة الله بن سعد الدولة إبراهيم(٦٦)، واستغل هذا الرجل موقعه في الدولة أسوأ استغلال، فخصص سبعمائة ألف درهم من خزانة الدولة راتبا سنويا لزوجته اتفاق وخدامها ومن يلوذ بها. وظل هذا الراتب يصرف لها حتى بعد وفاة موفق الدين هذا في ربيع الآخر سنة ٧٥٥هـ/مايو ١٣٥٤م(٦٧).

وظلت اتفاق مرغوبا فيها من الرجال حتى بعد تقدمها في السن، ففي شوال سنة ٧٦٦هـ/يوليو ١٣٦٥م وصل إلى مصر رجل يدعى حلي عبدالحكيم فارا من المغرب، ونعته المقريزي بـ"السلطان"، فأكرمه السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون، وأجرى له الرواتب السنية، وبعد استقراره في مصر زوجه السلطان من اتفاق، ثم لم يعد يعلم لها خبر بعد ذلك(٦٨).

وعودة إلى المظفر حاجي ننظر أحواله بعد إجباره على التخلص من مغنياته، فإنه لم يعد إلى جادة الصواب، بل اتجه إلى نوع آخر من التسلية، قضى فيه وقته في لعب ولهو، فقد أنشأ حظيرة حمام، وجلب إليها أنواعا مختلفة منه، فبلغت تكلفة ذلك سبعين ألف درهم. وانشغل المظفر عن إدارة أمور السلطنة بما استجده من اللعب بالحمام. ثم قرب إليه نفر من عوام الناس، وجعلهم صحبته في حله وترحاله، وشاركهم في ألعابهم الساخرة. ووجد مسلك السلطان هذا انتقاد بعض الأمراء، واعتبره إنحرافا عن تقاليد السلطنة. وأما السلطان فإنه غضب من هؤلاء الأمراء، وثارت ثائرته ضدهم، وقام إلى

الحمام فذبحه بيده، ولم يتمالك تلابيب أمره فصرح بتهديده للأمراء المعارضين قائلاً أنه سيذبحهم كما ذبح الحمام. وفي ربيع الأخر ٧٤٨هـ/يوليو ١٣٤٧م سنحت الفرصة للسلطان بتنفيذ تهديده، ونجح في التخلص من بعض الأمراء، وبدى أن الأجواء قد صفت للمظفر، وأن بقية الأمراء جنحوا للسلم[٦٩].

ولما اعتقد المظفر حاجي أنه قد ملك زمام الأمور في البلاد عاد إلى سابق عهده من الانهماك في اللهو واللعب، وجمع أرباب الملاهي وأفرط في تحصيل ملذاته أكثر من ذي قبل. ومن ذلك أنه في مستهل شعبان سنة ٧٤٨هـ/نوفمبر ١٣٤٧م رأى أن يخرج جماعة كبيرة من الأمراء في مهمة بعيداً عن القاهرة، فيخلو له الجو ويلهو على هواه. فتوجه جماعة من الأمراء إلى الصيد، وأخرج أرقطاي النائب[٧٠] إلى الوجه القبلي. وإمعاناً من المظفر في طلب المتعة، والاختلاء مع مغانيه وأرباب الملاعيب، فقد حدد ميعاد عودة الأمراء من مهامهم في العشر الأخير من شهر رمضان. وانطلق السلطان إلى اللعب واللهو، وشارك بنفسه العبيد وأرباب الملاعيب والأوباش وأراذل الطوائف ألعابهم، وقلدهم فيما يفعلون. فكان يقضي نهاره في اللعب مع هؤلاء، ويصعد إلى القلعة ليلاً وبصحبته المغنيات وأرباب الملاهي[٧١].

وفي هذه الفترة شغف المظفر حاجي بمغنية تدعى كيدا، ونزلت لديه منزلة اتفاق. وفتح خزائنه لإرضاء مغنيته، فاشترى لها أملاكا بالقاهرة بلغت قيمتها مائة ألف درهم، وصاحبته في ليله ونهاره، وحله وترحاله. وتناقلت الألسن سفه السلطان مع مغنيته ورفقتها، ولما بلغت هذه الأخبار الأمراء الذين أخرجهم السلطان بعيداً عن القاهرة، فإنهم أسرعوا في إنهاء مهامهم، وقرروا العودة قبل الميعاد الذي حدده السلطان لهم من قبل، فوصلوا القاهرة في أواخر شعبان[٧٢].

وعلى الرغم من عودة الأمراء إلى القاهرة فإن السلطان لم يرتدع عن السفه الذي انخرط فيه، وواصل سلوكه الطائش. ومن ذلك فإنه في أوائل شهر رمضان وصلت إلى القلعة أموال يلبغا اليحيوي[٧٣] نائب دمشق بعد إلقاء القبض عليه ومصادرة ممتلكاته، فأخذ السلطان منها عشرين ألف دينار وأهداها إلى كيدا، ثم أعطاها جملة أخرى من الجواهر واللآلئ. ونثر الذهب على الجواري والخدم، ثم ألقى ذهباً ولؤلؤاً على لاعبي الحمام والفراشين والعبيد، وأنفق مال يلبغا جميعه عليهم، وكان يقدر بثلاثين ألف دينار وثلاثمائة ألف درهم، فضلاً عن الجواهر والحلي واللؤلؤ والزركش والمصاغ، وقدر ذلك بما يزيد على ثمانين ألف دينار، ولم يترك من مال يلبغا سوى القماش[٧٤].

وما فعله السلطان من سفه وسوء تدبير أثار حفيظة عدد كبير من أمراء المماليك، ولم يعد هناك مفر من وقوع الصدام بين الفريقين. ثم إن نجاح السلطان من قبل في التخلص من الأمراء المعارضين جعله يستهين بشأن هؤلاء الأمراء، واعتقد أن غضبهم سيهدأ بمجرد تهديده إياهم، أو ربما يضطر إلى التخلص من بعضهم ليبث الرعب والحذر في نفوس الآخرين. ولكن الأمراء كانوا قد عقدوا العزم على التخلص

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

من المظفر قبل أن تطول يده أحدهم. وخرج كل فريق منهما بآلة الحرب، واشتعلت القلعة وشوارع القاهرة بالفتنة، ولم تنته إلا وقد ألقى الأمراء القبض على السلطان، ثم عاجلوه بالذبح في الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة٧٤٨هـ/ديسمبر ١٣٤٧م، واختاروا أخاه حسن سلطاناً، ولقبوه بالناصر، وعمره آنذاك إحدى عشرة سنة[٧٥].

وأما السلطان الناصر حسن هذا فإنه تولى السلطنة مرتين؛ الأولى انتهت بخلعه وتولية أخيه الصالح صالح في جمادى الآخرة سنة ٧٥٢هـ/يوليو ١٣٥١م، ثم تولاها في المرة الثانية بعد خلع الصالح في شوال سنة ٧٥٥هـ/أكتوبر ١٣٥٤م، واستمر سلطاناً حتى مقتله في جمادى الأولى ٧٦٢هـ/مارس ١٣٦١م. ولما كان الناصر حسن في سلطنته الأولى صبياً صغيراً فقد تولى إدارة شئون البلاد عدد من كبار الأمراء، وعلى رأسهم أرقطاي النائب، ومنجك اليوسفي، ثم شيخو العمري[٧٦].

اتخذت إجراءات صارمة تجاه حواشي السلطان المظفر حاجي لتصحيح ما تم إتلافه على أيديهم، واسترداد ما أخذوه من أموال الدولة بغير وجه حق. وفتح شاد الدواوين[٧٧] باب التحقيقات مع عدد من هؤلاء الحواشي، واعترف الخدام على المغنية كيدا أنها حصلت وحدها في مدة شهرين على نحو خمسة وثلاثين ألف دينار، ومائتين وعشرين ألف درهم. كما حصل باقي أرباب الملاهي على أموال طائلة، فضلا عما حصل عليه العبيد والفراشين ومطيري الحمام[٧٨].

وفي منتصف شهر رمضان سنة ٧٤٨هـ/ديسمبر ١٣٤٧م كان قد تم حصر الأموال التي أنفقها المظفر سفها بغير حق على المغاني وأرباب الملاعيب، ثم بدأ موظفو الأموال بالدولة في تتبع هؤلاء المنتفعين واسترداد ما أخذوه من أموال. ففي البداية كتبت أوراق بمرتبات أرباب الملاهي والخدام والعبيد والجواري، وصدر المرسوم بقطعها جميعا. وأما الثروات التي أخذتها المغاني من باب الهدايا وما شابه ذلك، فإنها كانت على قائمة الأموال المطلوب استردادها. وجرى التحقيق مع المغنيات اللواتي خارج القلعة، وجاءت على رأسهن مغنية عرب الجيزة، وتدعى دبيقة. وكانت دبيقة هذه تصعد إلى القلعة، فتغني وترقص هناك. كما تم استدعاء ضامنة المغاني، وخضعن للتحقيق، ثم ألزمت تلك السيدتان بدفع مبالغ معينة من الأموال مقابل ما حصلن عليه من بيت المال[٧٩].

وأما الجواري اللواتي بالقلعة فإنهن عُرضن للتفرقة بين من أعتقت منهن، ومن هي على حالها. ورُسم بتزويج الحرائر منهن، ووُزعت الباقيات على الأمراء. ثم في شهر رمضان سنة ٧٤٨هـ/ديسمبر ١٣٤٧م أُحيط بأموال المغنية كيدا، كذا جرى مع بقية حظايا المظفر، ثم أُنزلن من القلعة[٨٠].

وكانت الأوضاع المالية في الدولة ككل في حاجة إلى إعادة نظر، وليس الأمر قاصراً على حركة التصحيح والتطهير التي جرت لاسترداد الأموال المنهوبة من أرباب الملاهي وأرباب الملاعيب وغيرهم من حواشي السلطان السابق. بل إن الأمر كان في حاجة إلى تقليل نفقات الدولة. وجلس الأمراء لبحث الإجراءات الضرورية، واتفقوا على

تخفيف الكلف السلطانية، وتقليل المصروف بسائر الجهات. وبدأ موظفو الأموال في جرد وإحصاء حسابات الدولة، وكتابة أوراق بما على الدولة من نفقات[٨١].

واستمر التوجه الإصلاحي اقتصادياً واجتماعياً، فعلى الصعيد الاقتصادي كان أرباب الأموال قد انتهوا في ذي الحجة سنة ٧٥٠هـ/فبراير ١٣٥٠م من ضبط أوراق الدولة، وحصر ما استجد عليها من التزامات منذ وفاة الناصر محمد بن قلاوون وحتى المحرم سنة ٧٥٠هـ/مارس ١٣٤٩م. فوجدوا أن جملة ما أُنعم به وما خرج إقطاعاً من بلاد الصعيد وبلاد الوجه البحري وبلاد الفيوم وأراضي السلطان وأراضي الرزق لصالح الخدم والجواري وغيرهن بلغ سبعمائة ألف ألف أردب، وألف ألف وستمائة ألف درهم كل هذه الأموال قد جرى تخصيصها لصالح أُناس من الأمراء والخدم والنساء. وكشف فحص تلك الأوراق ما وقع فيه نفر من كبار الأمراء من تجاوزات، ولذلك عندما قرأت الأوراق بحضرتهم، وانكشفت تجاوزاتهم لم ينطق أحد منهم بكلمة[٨٢].

وأما على الصعيد الاجتماعي، فإنه أيضا في ذي الحجة سنة ٧٥٠هـ/فبراير ١٣٥٠م خرج الوزير منجك اليوسفي بتوجه إصلاحي اجتماعي، وذلك أنه رأى إنحرافاً فيما أحدثته عوام النساء في ملابسهن، فقد ذهبت كثيرات منهن إلي تقليد نساء السلطان وجواريهن اللواتي بالغن في الإنفاق على أزيائهن، وأحدثن قمصاناً غاليات الثمن، ويمتد طولها على المرأة حتى ينسدل ذيلها على الأرض. وأفتى بعض القضاة بتحريم هذه الأزياء، وهذه الفتوى شجعت الوزير على الخروج إلى الشوارع وبيوت أرباب الملاهي لإرهاب النساء ومنعهن من ارتداء هذه الأزياء[٨٣].

وامتدت سلطنة الناصر حسن الأولى ثلاث سنوات وتسعة أشهر وأياما، وتولى السلطنة وعمره إحدى عشرة سنة، وهو ما يعني أن الفترة الأولى لحكمه كان ما يزال صبيا، ولم يكن قد بلغ من السن ما يجعله يسعى وراء شهواته، هذا فضلاً عن أنه أحيط بعدد من الأمراء الأقوياء الذين يتربصون به الدوائر، فوقع تحت حجرهم، وحتى عندما رشد نفسه فإنه لم يستطع الانفراد بالسلطة من دونهم. وهذه الأمور منعت الناصر حسن من القيام بدور البطولة في مسلسل سقوط السلاطين أبناء الناصر محمد في مستنقع أرباب الملاهي. ولم تشهد سلطنة حسن الأولى تجاوزات من السلطان تجاه المغنيات وأرباب الملاهي، وحتى عندما أقام عدة احتفالات بمناسبة زواج إحدى أخواته وبعض مماليكه فإن هذه الاحتفالات لم تشهد ابتزالاً أو سفهاً أخلاقياً، مثلما كان يجري من إخوته السابقين. وخسر الناصر حسن سلطنته ولم يخسر حياته، فقد وقع ضحية الدخول في صراعات أمراء المماليك مع بعضهم البعض[٨٤].

وأما الصالح صالح فإنه تولى السلطنة وعمره حوالي خمس عشرة سنة، وانقضت سلطنته وهو تحت حجر الأمراء، وبخاصة شيخو وصرغتمش[٨٥]. وعندما سعى للتحرر من قبضة الأمراء، فإن عاقبة ذلك لم تحمد له. ففي رمضان سنة ٧٥٥هـ/سبتمبر ١٣٥٤م اتجه الصالح إلى سرياقوس وأقام بها، واستدعى أرباب الصنائع وانشغل باللهو معهم، وانفق عليهم أموالاً كثيرة، فقام الأمير شيخو للسلطان

وأنكر عليه هذه الأمور، واعتقد الصالح خطأ أن بإمكانه التخلص من هذا الأمير، فكان تدميره في تدبيره، وخرج عليه الأمير شيخو، وألقى القبض عليه وسجنه، وأعاد أخاه حسن إلى السلطنة(٨٦).

وتولى الناصر حسن السلطنة للمرة الثانية في أوائل شوال سنة ٧٥٥هـ/أكتوبر ١٣٥٤م، وكان قد تجاوز الثماني عشرة سنة. وأبى الناصر حسن إلا أن يكون مثل إخوته السابقين الذين هاموا بسماع المغنيات طربا، وانخرطوا في اللهو مع أرباب الملاهي. فأشارت عدة مصادر إلى أن السلطان الناصر حسن أقبل على النساء الجميلات، واقتنى منهن عدداً كبيراً فاق الحد، وشغف بهن شغفاً زائداً، واشتهر سفهه بين الناس فعرفه القاصي والداني. وانشغل باللهو والطرب، فضم إلى مجلسه النساء المغنيات وأرباب الملاهي، بل إنه اعتنى عناية خاصة بأرباب الفن من المغاني قاطبة، وكان إذا خرج في سفر اصطحب النساء معه(٨٧).

وعلى الرغم من إن الناصر حسن لم يرد عنه أنه اختص بواحدة من المغنيات، كبعض إخوته الذين ارتبطوا بمغنيات بعينهن، فإنه سلك نفس الدرب الذي سلكه إخوته السابقون في المجون مع أرباب المغاني، والسفه في الانفاق عليهن. ومن عجيب الاتفاق أن هلاك الناصر حسن جاء مقروناً بعلاقته بواحدة من النساء المغنيات. ففي جمادى الأولى سنة ٧٦٢هـ/مارس ١٣٦١م علم الناصر أن الأمير يلبغا الخاصكي ينكر عليه منحه إقطاعات كبيرة للنساء، وأن يلبغا يستعد للوثوب عليه، فأسرع السلطان بالقبض عليه وأهانه، ثم ثبت له أن يلبغا بريء، وقيل إن إحدى حظايا السلطان هي التي شفعت في يلبغا، فأفرج عنه واعتذر له. وبعد أيام قلائل خرج يلبغا بالفعل عن طاعة السلطان، وأعلن تمرده عليه. ولبس السلطان رداء الحرب ليحمي ملكه وروحه، ولكنه كان أعجز عن أن يفعل ذلك، فقد انتصر يلبغا على السلطان وضربه، وألقى القبض عليه وقتله(٨٨).

وكتب أحد شعراء العصر أبياتاً من الشعر، عرّض فيها بأخلاقيات الناصر حسن، والسفه والمجون الذي ارتكبه، وذم تقريبه القينات وأرباب الملاهي. وكتب هذا الشاعر أبياته مستخدما أسماء سور القرآن الكريم للتعريض على ما سلكه الناصر خلال سلطنته الثانية من أخطاء، وما جرى عليه من سوء خاتمة، فقال:

لما أتى للعاديات وزلزلت ... حفظ النساء وما قرا الواقعة
فلأجل هذا الملك أضحى لم يكن ... وأتى القتال وفصلت بالقارعة
لو عامل الرحمن فاز بكهفه ... وبنصره في عصره للسابعة
من كانت القينات من أحزابه ... عطعط به الدخان نار لامعة
تبت يدا من لا يخاف من الدعا ... في الليل إذا يغشى يقع في النازعة(٨٩)

وهكذا انتهت فترة حكم أبناء الناصر محمد بن قلاوون، وبلغ عدد أبناء الناصر الذين تولوا السلطنة ثمانية، وتولى الناصر حسن السلطنة مرتين. ثم انتقلت السلطنة من بعدهم إلى عدد من أحفاده.

وارتبط هؤلاء السلاطين بالغناء والمغنيات، ومجالس اللهو، ويستثنى اثنان منهم هما: كجك وحسن في سلطنته الأولى، وذلك لصغر سنهما عند توليهما السلطنة.

وفي هذه الفترة اشتهرت مغنيات بعينها، وذاع صيتهن في أرجاء البلاد. وارتبطن بعلاقات قوية بالسلاطين الذين عاصروهن من أبناء الناصر. وبلغ حد الحميمية في العلاقة أن ثلاثة من أبناء الناصر هم: إسماعيل وشعبان وحاجي تزوجوا بالتعاقب بواحدة من هؤلاء المغنيات هي اتفاق.

ترك ارتباط السلاطين من أبناء الناصر بالمغنيات آثاراً سلبية على البلاد؛ فتأثرت الأوضاع المالية للدولة جراء إنفاق السلاطين ببذخ على المغنيات ومجالسهن حتى بلغ حد السفه، وعانت الدولة معاناة شديدة جعلت الأمراء القائمين على أمرها يتخذون تدابير تقشفية لمواجهة تلك الأزمة المالية.

وعلى الصعيد الاجتماعي سرت عدوى تقليد نساء الشعب للمغنيات ونساء السلاطين في أزيائهن، فخرجن عن المألوف من وجهة نظر المعاصرين. ووجهت انتقادات لاذعة إلى أزياء النساء، وصدرت فتاوى العلماء التي تمنع ما ابتدعنه، وسعى بعض رجال الدولة لمواجهة مثالب النساء.

ثم إن أخطر ما تركه وجود المغنيات في بلاط السلاطين من أبناء الناصر هو أن كثيراً منهم دفع حياته ثمناً لمجونه، والإنصراف نحو اللهو مع هؤلاء المغنيات. فقد قدموا الحجة للأمراء الطامعين في النفوذ للقيام بالتمرد عليهم، ففقدوا عرشهم، بل منهم من فقد حياته أيضاً. وجرت أمور السلطة في أيدي الأمراء الأقوياء فينصبون من يرونه منهم مطيعاً، أو خادماً لمصالحهم.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهوامـــش

(١) ابن منظور، لسان العرب، حققه عبد الله على الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د. ت، مج ٥، ص ٣٢٠٩ – ٣٢١٠؛ عبد السلام الترمانيني، الرق، ماضيه حاضره، عالم المعرفة، عدد ٢٣، الكويت، نوفمبر، ١٩٧٩، ص٩٧ – ٩٨؛ محمد قنديل البقلي، الطرب في العصر المملوكي (الغناء – الرقص – الموسيقا) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤، ص ١٠؛ على السيد محمد، الجواري في مجتمع القاهرة المملوكية، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٨٧، ٨٨؛ جبور عبد النور، الجواري، القاهرة، ١٩٤٧، ص٥٦؛ لطفي أحمد نصار، وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩، ص١١٤.

(٢) التقيين في الأصل هو تزيين المرأة للزفاف، ثم أطلق على تزيين الجارية وإصلاحها وتعليمها الغناء. عبد السلام الترمانيني، المرجع السابق، ص ١٠٣، ح١، وقال ابن منظور في لسان العرب : التقيين التزين بألوان الزينة، وهي الزينة للرجل والمرأة، وتقين أي تزين لزفافها، والقينة الأمة المغنية، لأنها تتزين، وقيل القينة الأمة مغنية أو غير مغنية، وقيل للمغنية قينة إذا كان الغناء صناعة لها. وذلك من عمل الإماء دون الحرائر. ابن منظور، المصدر السابق، مج ٥، ص ٣٧٩٩.

(٣) السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، حققه محمد على النجار وآخرون، ط٣، القاهرة، ١٩٩٦، ص١٤٤؛ ابن الإخوة، معالم القربة في أحكام الحسبة، صححه روبن ليوي، كمبردج، ١٩٣٧، ص ١٥٣؛ سعيد عبدالفتاح عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٧، ص١٣٣.

(٤) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ٢ تحقيق محمد مطصفى زيادة، القاهرة، ١٩٣٦ – ١٩٥٨، ج ٣، ٤ تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٠ – ١٩٧٣، ج ٢، ص ٥٩٣ – ٥٩٤، ٧١٥؛ عبد السلام الترمانيني، المرجع السابق، ص ٩٧ – ٩٨؛ على السيد محمد، المرجع السابق، ص ٨٨؛ جبور عبد النور، المرجع السابق، ص٥٦.

(٥) سعيد عبدالفتاح عاشور، المجتمع المصري، ص١٠٣–١٠٤؛ قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣، ١٣٦؛ أحمد عبدالرازق، المرأة في العصر المملوكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩، ص٤٢؛ عبد السلام الترمانيني، المرجع السابق، ص٩٧ – ٩٨؛ لطفي أحمد نصار، المرجع السابق، ص١١٤؛ محمد قنديل البقلي، الطرب، ص ٩.

(٦) الضمان لغة هو الكفالة، أو الالتزام بالشيء، والضامن والضمين هو الكفيل أو الملتزم، وجمعه ضمان أو ضمناء، وتجمع أيضاً ضمن، بضم الضاد وتشديد الميم، وضمن الشيء أي كفل به، وضمنه أياه أي كفله، ويقال فلان ضامن وضمين أي كافل وكفيل، وضمنت

الشيء، أضمنه ضماناً، فأنا ضامن، والشيء مضمون، ابن منظور، المصدر السابق، مج٤، ص ٢٦١٠ - ٢٦١٣.

والضمان اصطلاحاً هو التزام شخص بتحصيل ضريبة من الضرائب، أو مكس من المكوس التي يفرضها السلطان أو الأمير، ويتكفل هذا الشخص في مقابل توليه هذا العمل بدفع مبلغ مقرر من المال إلى الديوان المختص، في أوقات معلومة من السنة. وإذا زاد متحصل الضريبة عن المقدار المقرر دفعه للديون أخذ الضامن الزيادة لنفسه، وإذا نقصت فعليه أن يكمل المقدار الذي نقص، القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، طبعة دار الكتب المصرية، ١٩١٣ - ١٩١٧، ج٣، ص ٤٧٠.

- Rabie,H., the Financial System of Egypt A.H. 564-741=A.D. 1169-1341, London, 1972, pp. 136-138.

محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٢٢٥.

(٧) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، (ج٣٢ تحقيق فهيم محمد شلتوت) القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٢٩؛ النويري السكندري، الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية، تحقيق عزيز سوريال عطية، حيدر أباد، ١٩٧٠، ج٤، ص١٥١؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق أيمن فؤاد سيد، لندن ٢٠٠٢ - ٢٠٠٤، مج١، ص ٢٤٠؛ المقريزي، السلوك، ج١، ص٨٦، ١٨٢.

(٨) الجهة تعني الضريبة ، فيقال أبطل فلان جهات منكرة ، وزادت أموال الجهة الفلانية أو نقصت، وفلان وكيل جهة محرمة. ومن ذلك أن القلقشندي (صبح الأعشى، ج٤، ص٣٣) ذكر ديواناً باسم نظر الجهات. ابن الحاج، المدخل، القاهرة، د.ت، ج٢،ص٣١١؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق، محمد محمد أمين، القاهرة، ١٩٨٢، ج٢، ص٨٠؛ محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، القاهرة، ١٩٨٤، ص٩٣؛ محمد مصطفى زيادة في تعليقاته على كتاب المقريزي، السلوك لمعرفة دولة الملوك(ج١، ٢ القاهرة ١٩٣٦ - ١٩٥٨)ج١، ص ٣٧٣، ح٢. وأضاف د.زيادة على غير الصواب أن الجهة المفردة هي الضريبة المقررة لديوان المفرد، وذلك عند تعليقه على حوادث السبت العشرين من شوال٦٤٨هـ/ الخامس عشر من يناير ١٢٥١م. والمعروف أن السلطان برقوق الذي تولى سلطنته الأولى سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م، هو الذي أحدث الديوان المفرد (القلقشندي، صبح الأعشى،ج٣، ص٤٢٧). وأعتقد أن الصواب هو أن الجهة المفردة هي الجهة المستقلة عن المعاملات الديوانية، ويباشرها ضامن مفرد، وأحياناً يرتب عليها مقطعون يأخذون حقوقهم منها. راجع المقريزي، السلوك ،ج٢، ص١٥١؛ الخطط المقريزية، مج١، ص٢٤٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت، ١٩٩٢، ج٩، ص٣٨.

(٩) المقريزي، السلوك، ج٢، ص ١٥٢؛ ج٣، ص٢٦٦.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١٠) ابن حجر، أنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، ١٩٩٤ – ١٩٩٨، ج١، ص١٢٧.

(١١) النويري السكندري، الإلمام، ج٤، ص١٥١؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٢٦٦؛ الخطط، مج١، ص٢٨٦ ؛ ابن حجر، أنباء الغمر، ج١، ص١٢٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، ١٩٨٢ – ١٩٨٤، ج١، ق٢، ص١٦٦.

(١٢) النويري السكندري، الإلمام، ج٤، ص١٥١؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٢٦٦ ؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج١، ق١،ص٤٨٦.

(١٣) ابن أيبك، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٩ الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق هانس روبرت رويمر، القاهرة، ١٩٦٠، ج٩، ص ٢٨٦ – ٢٨٧ ، ٢٩٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣٢، ص٢٢٩ – ٢٣٠؛ النويري السكندري، الإلمام، ج٤، ص١٤٦ – ١٥٤؛ ابن حبيب، المصدر السابق، ج٢، ص ٦٩؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، بيروت، ١٩٨٥، ج٢، ص٧٤، ٧٥؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص١٥١ ، ١٥٢؛ الخطط، مج١، ص ٨٩ ، ٢٣٩ ،٢٤٠، ٢٤١؛ مج٢، ص٤٩٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج١، ق١، ص٤٨٦.

(١٤) ابن الحاج، المدخل، مكتبة دار التراث، القاهرة، د. ت، ج١، ص٢٤٦، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٨٦ – ٢٨٧ ، ٣١٠.

(١٥) مؤرخ مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، نشره Zettersteen، لندن، ١٩١٩، ص٢١٧.

(١٦) الشجاعي، تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي وأولاده، تحقيق بربارة شيفر، فيسبادن، ١٩٧٨، ص١١٠، ١١١، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١؛ الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبوزيد وآخرون، بيروت، ١٩٩٨، ج١، ص٦٣٠ – ٦٣٤ ؛ ج٢، ص٥٩٩ – ٦٠١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، تحقيق وداد القاضي، فيسبادن، ١٩٨٢، ص٤٤٧ – ٤٤٨؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٢٣١ ، ٢٤٠، ٢٤١ ، ٥٧١ ، ٥٩٣ – ٥٩٤ ، ٦٨٠ ، ٧٤٥؛ المقريزي، المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، بيروت، ١٩٩١، ج٢، ص٣١٠ – ٣١٢؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص ٣٤٨ ؛ ج٢، ص٢٢١؛ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص١٦٠؛ ج١٠، ص٦٧ ، ١٤٨. وتنكز هو الأمير المشهور نائب الشام، تولى نيابته سنه ٧١٢هـ/١٣١٢م، له إنجازات عديدة في مدة نيابته، فحصل على منزلة ومكانة عظيمة في الدولة لم يحصل عليها غيره، وظل نائباً للشام مقيماً في دمشق حتى ألقى الناصر القبض عليه وقتله في ذي الحجة ٧٤٠هـ/مايو ١٣٤١م. انظر ترجمة مطولة في الصفدي، الوافي، ج١٠، ص٢٦٠ وما بعدها. ابن تغرى بردى: المنهل الصافى والمستوفي بعد الوافي، ج٤، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، ١٩٨٦، ص١٥٦ – ١٦٧.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١٧) بكتمر الساقي من مماليك السلطان بيبرس الجاشنكير، ثم انتقل إلى مماليك الناصر محمد بن قلاوون، وقربه الناصر وعظم عنده، وزوج ابنته بابن بكتمر، ولم يكن يفارق السلطان، وحج مع السلطان وتوفي وهما في طريق عودتهم سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م. الصفدي، الوافي، ج١٠، ص١٢٢ وما بعدها.

(١٨) بشتاك أحد مماليك الناصر محمد، وقربه الناصر بعد وفاة بكتمر الساقي، فنال حظوة ومكانة، فتكبر وتجبر، وظل على سيرته حتى وفاة الناصر، فألقي القبض عليه في أول سلطنة المنصورأبي بكر، ثم قتل في الحبس بالإسكندرية أول سلطنة الأشرف كجك في شهر ربيع الأخر سنة ٧٤٢هـ/سبتمبر ١٣٤١م. الصفدي، الوافي، ج١٠، ص٨٨ وما بعدها؛ ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة، ١٩٩٧م، ج١٨، ص٤٢٧.

(١٩) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٥٦١؛ ابن حجر، الدرر، ج٢، ص٩٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١٦.

(٢٠) الغلمان مفردها غلام، وهو الذي يتصدى لخدمة الخيل، وهو في أصل اللغة مخصوص بالصبي الصغير والمملوك، ثم غلب على هذا النوع من أرباب الخدام، وكأنهم سموه بذلك لصغره في النفوس، وربما أطلق علي غيره من رجال الطست خاناه ونحوهم. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٤٧١.

(٢١) قوصون واحد من أقرب الأمراء إلى الناصر محمد، ولم يكن أصله مملوكاً، زوجه السلطان واحدة من بناته. وبعد وفاة الناصر ساند ابنه أبا بكر حتى جعله سلطاناً، ثم سعى إلى خلعه، وأجلس أخاه كجك على عرش السلطنة. ولما أمر بقتل أبي بكر في قوص كان ذلك سبباً لخروج عدد كبير أمراء المماليك الناصرية على استبداد قوصون بالدولة، وكذلك انتفض ضده العوام. وأُلقي القبض على قوصون، ثم قتل في شوال سنة ٧٤٢هـ/مارس ١٣٤٢م. الصفدي، الوافي، ج٢٤، ص٢٠٧ وما بعدها.

(٢٢) مؤرخ مجهول، المصدر السابق، ص ٢٢٤؛ الصفدي، الوافي، ج١٠، ص ١٥٧ – ١٥٨؛ ابن كثير، المصدر السابق،ج١٨، ص ٤٢٩؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص ٥٦٦ – ٥٦٧ ، ٥٧٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١٠ – ١٢؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه محمود الأرناؤوط، وأشرف على تحقيقه عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٦، ج ٨، ص ٢٣٦.

(٢٣) الصفدي، الوافي، ج٢٤، ص٢٤٩؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج١٨، ص٤٢٩؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٥٩٣، ٧٥١ ؛ ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج٨ ص٢٥٨.

(٢٤) الكرك قلعة حصينة جداً في طرف الشام من نواحي البلقاء، بين أيلة وبحر القلزم (خليج العقبة) وبيت المقدس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د. ت، مج٤، ص٤٥٣.

(٢٥) الصفدي، الوافي، ج٨، ص ٥٧- ٦٠ ؛ ج ٩، ص١٣١؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٥٧٣ ، ٦١٨ ، ٦١٩.

(٢٦) السرحات، الدلالة اللغوية للكلمة هي أنها أماكن الرعي التي تنطلق فيها الدواب لتأخذ حظها من نباتات الرعي. والمقصود بالسرحات إنما هو خروج السلطان وأعوانه إلى الأماكن التي يتوافر فيها من المراعي الطبيعية أو الحضارية ما يكفي للخيول التي تمثل عماد الأنشطة الاجتماعية للسلطان وحاشيته وهي؛ الترويح والصيد والفروسية. وبلغ عدد السرحات السلطانية في مصر المملوكية حوالي عشرين سرحة؛ ومن أشهرهم سرحة سرياقوس وسرحة أوسيم. عبدالعال عبدالمنعم محمد الشامي، السرحات السلطانية، أماكن الترويح والصيد والفروسية في مصر زمن الأيوبيين والمماليك ٥٦٧هـ -٩٢٣هـ، الكويت، ١٩٩٤، ص٢١ وما بعدها.

(٢٧) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٦٧٨ - ٦٧٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص٨٠.

- الثياب الأطلس هي ثياب حريرية منسوجة، ولفظ أطلس ليس عربياً، فالأطلس في الفارسية يعني الحرير، ونوعاً من الحرير يمتاز بلمعان أحد وجهيه، ويعرف في الإنجليزية Stain، وفي الفرنسية Atlas. رجب عبد الجواد ابراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٢، ص٣٦.

- الطراطير، مفردها طرطور، وهو غطاء الرأس، أو طاقية مرتفعة ترتديها النساء على رؤوسهن. فايزة محمود عبد الخالق الوكيل، الشوار، جهاز العروس في مصر في عصر سلاطين المماليك، دار نهضة الشروق، القاهرة، ٢٠٠١، ص٢٩١.

- الخدام أو الخدام الخصيان هم الذين يعرفون بالطواشية آنذاك، ولهم ألقاب كالأمين والمقرب والمؤتمن. ومنهم من له الإشراف على باب ستارة السلطان أو الأمير، ويسمى بالزمام دار أو الزنان دار. سعيد عبدالفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٤، ص٤٤٠؛ محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص١١٦.

(٢٨) الكاملية الحرير ويقال الكوامل أيضاً، ومفردها كاملية، نوع من الملابس الخارجية كالعباءة. سعيد عبدالفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص٤٤٩.

- لعب الكرة كانت رياضة موجودة في مصر قبل دخول الإسلام، وظلت موجودة حتى عصر سلاطين المماليك. وكانت عبارة عن كرة كبيرة من مادة كالفلين ونحوه، تلقى على الأرض ويتسابق الفرسان راكبين في التقاطها بالصولجان أو الجوكان فمن سبق منهم إلى إصابتها وأرسلها في الهواء كانت له الغلبة. ويبدو أن تلك اللعبة استمرت على نفس الهيئة في عصر سلاطين المماليك. لطفي أحمد نصار، وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩، ص٢٤٤-٢٤٥.

(٢٩) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٦٧٨ - ٦٧٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠ ص٨٠.

(٣٠) أرزاق ومفردها رزق، هي المرتبات، سواء كانت يومية أو شهرية. سعيد عبدالفتاح عاشور. العصر المماليكي، ص ٤٢٥.

(٣١) الأمير الحاج آل ملك، هو آل ملك بن عبد الله، من كبار أمراء المماليك، وتولى وظائف كبرى، ومنها نيابة السلطنة، وتوفى سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٨٥-٨٨.

- نيابة السلطنة هي أعلى وظائف أرباب السيوف، وصاحبها سلطان مختصر، بل هو السلطان الثاني، فيحكم فيما يحكم فيه السلطان، وجميع نواب المملكة يكاتبونه فيما يكاتبون فيه السلطان. ويستخدم الجند من غير مشاورة السلطان، ويعين أرباب الوظائف الجليلة كالوزارة وكتابة السر، وله عادات مهيبة في مراسيم الدولة. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٦ وما بعدها.

(٣٢) الصفدي، الوافي، ج٩ ، ص ٢١٤؛ المقريزي، السلوك، ج٢ ، ص ٦٢٧ ، ٦٥٣، ٧٦٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠ ، ص٧٤ ، ٧٥ ، ٨٠.

(٣٣) الصفدي، الوافي، ج٩ ، ص١٣١؛ المقريزي، السلوك، ج٢ ، ص ٦٧٨ ، ٧١٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠ ، ص١١٩؛ ابن تغري بردي، مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية، ١٩٩٧، ج٢، ص٧٧؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج١، ق ١، ص٥٠٥؛ ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج٨، ص٢٥٥.

(٣٤) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٧١٥؛ ابن حجر، الدرر، ج١، ص٨٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص ١١٩.

(٣٥) جمال الكفاة اسمه إبراهيم، ولاه الناصر محمد بن قلاوون وظيفتي نظر الخاص ونظر الجيش، ولم يتفق لأحد غيره الجمع بين الوظيفتين. واستمر على حاله في سلطنة كل من أبي بكر وكجك وأحمد وإسماعيل أبناء الناصر، ثم أضيفت إليه وظيفة نظر الدولة في سلطنة إسماعيل، حتى قيل إن هذا الرجل أصبح عبارة عن الدولة. ثم نُكب وقتل في صفر ٧٤٥هـ/يونيو ١٣٤٤م. الصفدي، الوافي، ج٦، ص١١٥ وما بعدها؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥، ص١٩٣ وما بعدها.

(٣٦) ابن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، حققه محمد حسين شمس الدين، بيروت، ١٩٨٨، ص٩٧-١٠٣، ١٠٦؛ ابن ناظر الجيش، تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق رودلف فسلي، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٨٧، ص٩١، ١٨٧.

- مشير الدولة هو أحد الرجال المعدودين، ووظيفته القيام مقام السلطان إذا أراد استشارة أولي الرأي في دولته؛ كالخليفة وقضاة القضاة والوزير والأمراء مقدمي الألوف وأتابكهم، فإن السلطان يخبر المشير بما يريد. ويقوم المشير بتداول الأمر مع هؤلاء الجماعة واحداً بعد الأخر، إلى أن يتفقوا على رأي بدون تدخل السلطان. فيكون معنى المشير هنا أنه يحفظ هيبة السلطان، فإن السلطان إذا تكلم وردوا كلامه يكون انتقاصاً لقدره، وإن سكتوا حفظاً لكرامة السلطان ربما يحدث خلل في الأمر، فهذه فائدة

المشير في الرأي والتدبير. ابن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، صححه بولس راويس، باريس، ١٨٩٤، ص١٠٦.
– علاء الدين على بن يحيى بن فضل الله العمري تولى كتابة السر للناصر محمد بن قلاوون وهو صبي صغير نيابة عن والده الذي كبر سنه. ولما توفي والده استقل بكتابة السر في سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٨م. وظل على حاله في أيام أبناء الناصر: أبو بكر وكجك وأحمد وإسماعيل، وحاجي، وحسن، وصالح، ومحمد بن حاجي، وشعبان بن حسين، وتوفي في رمضان سنة ٧٦٩هـ/مايو ١٣٦٨م. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٨، ص٢٤٠ وما بعدها.

(٣٧) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٦٦٢ – ٦٦٣.

(٣٨) أمير مائة مقدم ألف، هى أعلى مراتب أرباب السيوف، وتكون عدته مائة فارس، وربما زاد العشرة والعشرين، وفى الحروب يكون مقدماً على ألف فارس، القلقشندى، صبح الأعشى،ج٤، ص١٤.

(٣٩) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٦٦٢ – ٦٦٤.

(٤٠) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٦٦٥ ، ٦٧١ ، ٦٧٩ – ٦٨٠.

(٤١) الصفدي، الوافي، ج٩، ص٢١٤؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٦٦٧ – ٦٧٠.

(٤٢) الصفدي، الوافي، ج١٦، ص٩٠؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٧١٥؛ ابن حجر، الدرر، ج١، ص٨٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص٩٧.

(٤٣) يرجح أن يكون معنى داير البيت هو داير السرير، ويكون عبارة عن نسيج من الحرير المطرز، ويحيط بأعلى أعمدة السرير. ومازال دائر السرير يستخدم بنفس الاسم في الأسرّة ذات الأعمدة الموجودة في الريف المصري. أو ربما كانت لفظة داير البيت مأخوذة من لفظة ديبيت الفارسية، وهو نوع من الأقمشة التيلية والتي عرفت بعد ذلك في العامية العربية باسم درابية وهي المفرش الأعلى للسرير، وهذا يكون من الحرير، وينجد بثمين الحشو، ويكون الحشو بسيطاً، ويزركش وجهها بالتطريز والخرز واللؤلؤ. فايزة الوكيل، المرجع السابق، ص٤٨.

(٤٤) البشخانة، كلمة فارسية معربة، مركبة من بشه ومعناها البعوض، ومن خانه ومعناها البيت، والمعنى الكلي بيت البعوض، وهي الناموسية التي تحمي صاحبها من الناموس والبعوض وسائر انهوام. رجب عبد الجواد ابراهيم، المرجع السابق، ص٦٦.
– مخاد مفردها مخدة، وهي ما يستخدمه الناس للراحة عند النوم أو الجلوس، ويبدو أنها كانت مثل تلك المعروفة في زماننا؛ حيث تحشى قطعة قماش وتوضع في كيس، وكان القماش المستعمل يختلف بحسب الحالة الاجتماعية، فقد يكون قماشها من الحرير أو المشتهر أو القماش العادي، وحشى بالقطن أو تحشى بورق الموز واللبد الأبيض. وألوانها تكون زرقاء أو بيضاء، أو بيضاء بكيس أحمر أو زيتي حرير، وأحيانا تطرز بالحرير الأحمر أو الأبيض، أو تكون من الديباج الأحمر المزركش بالذهب محشوة بريش

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

النعام، وكان للمخدات أكياس من القماش لحفظها، وهذه الأكياس كانت مجالاً خصبا لكتابة الأشعار بالتطريز. فايزة الوكيل، المرجع السابق، ص٧٤-٧٥.

- المساند مفردها مسند، وهو وسادة تعمل للظهر، والنهايات العليا لهذه المساند مدببة بشدة. وهذا المسند للظهر له وظيفة في الأثاث محددة وواحدة، ولا يمكن أن يستخدم للنوم مثلاً، وذلك بخلاف بعض المخدات التي يمكن أن تستخدم كمساند للظهر. فايزة الوكيل، المرجع السابق، ص٨١-٨٢.

(٤٥) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٧١٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١١٩-١٢٠.

(٤٦) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٦٨٥ - ٦٨٦.

(٤٧) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٦٨٨ - ٦٨٩.

(٤٨) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٦٩٠-٦٩١.

(٤٩) المقريزي، السلوك، ج٢، ص ٦٩٢.

- والدولاب وجمعها دواليب، وهي الآلات العجلية المستعملة في الزراعة والصناعة عموماً، سواء صناعة السكر أو النسيج أو غيرها. سعيد عاشور، العصر المماليكي، ص٤٢٣.

(٥٠) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٦٩٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١٠٠-١٠١.

(٥١) الأمير سيف الدين قماري، أخو بكتمر الساقي، ترقى في الوظائف حتى صار أستاذ الدار للصالح إسماعيل، وعندما تولى الكامل شعبان السلطنة ولاه نيابة طرابلس، وفي ذي الحجة سنة ٧٤٦هـ/مارس ١٣٤٦م ألقى القبض عليه محبوساً مقيداً، وكان أخر العهد به، فإنه نقل إلى سجن الإسكندرية، وقتل في سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م. الصفدي، الوافي، ج٢٤، ص٢٠٦؛ ابن حجر، الدرر، ج٣، ص ٢٥٦.

(٥٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٧٠١.

(٥٣) أرغون العلائي، هو أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون، تولى وظيفة رأس نوبة الجمدارية منذ أيام الناصر محمد. تزوج أرملة الناصر وهي والدة الصالح إسماعيل والكامل شعبان ابني الناصر محمد، وكان مدبر الدولة في عهديهما، ثم ألقي القبض عليه بعد خلع الكامل شعبان، وسجن بالإسكندرية إلى أن قتل في سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م. الصفدي، الوافي، ج٨، ص٢٣٠.

(٥٤) أم الولد هى الجارية أو الأمة التى تلد من سيدها، فتسمى أم ولد، وترتفع مكانتها عن الجارية التى لم تلد منه، ولا يجوز للرجل أن يبيع أم ولده، وإذا مات صارت حرة، وأما الأولاد الذين جاءوا منها فأحرار. عطية القوصى، الحضارة الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٥، ص٩٣.

(٥٥) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٧٠٣ - ٧٠٤ ، ٧٠٧؛ ابن حجر، الدرر، ج١، ص٨٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص ١٠٤، ١٠٧.

(٥٦) وعلى الرغم من إن الصفدي (الوافي، ج١٦، ص٩٠) امتدح الكامل شعبان على خلاف باقي المؤرخين، إلا إنه اتفق معهم في أن السلطان كانت له ميول نحو اللعب واللهو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دائماً. المقريزي، السلوك، ج٢، ص٧١٣، ابن حجر، الدرر، ج٢، ص١٩١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١١٢-١١٣؛ مورد اللطافة، ج٢، ص٨٠، ٨٤؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، حققه عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٩٤، مج٢، ج١، ص٤٨٩ - ٤٩٠؛ ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج٨ ، ص٢٦٠.

(٥٧) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٦٥٣ ، ٧١٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١١٣؛

(٥٨) المقريزي، السلوك، ج٢ ، ص٧٠٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص ١٠١ - ١٠٢ ، ١٠٦، ١٠٧.

(٥٩) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٧٠٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص ١٠٧.

(٦٠) الصفدي، الوافي، ج١١، ص١٨٢-١٨٣؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٧٠٨ - ٧١٤ ، ٧٤٤؛ ابن حجر، الدرر، ج٢، ص ٣ - ٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١٠٧ - ١١٣. وفي تحقيقه لكتاب السلوك (ج٢، ص٧١٤) وقع د/مصطفى زيادة في اضطراب خاص بتحديد عمر المظفر حاجي، فقد وجد بياضاً في مخطوطاته مكان عمر المظفر، فأكمل البياض محدداً عمره بخمس عشرة سنة، معتمداً على ابن حجر في الدرر الكامنة، وابن إياس في بدائع الزهور. ولم ينتبه د/زيادة إلى ما جاء في السلوك (ج٢، ص٧٤٤) عن عمر المظفر بعد مقتله، فقد حدده المقريزي هنا بنحو عشرين سنة، ثم إنه من المؤكد أن المظفر حاجي ولد أثناء وجود والده في رحلة حجه سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م، ولذا تسمى بحاجي نسبة إلى هذه المرحلة المقدسة، وعلى ذلك فإن عمره يوم توليه السلطنة يكون حوالي خمس عشرة سنة، ومن المعلوم أن مدة حكمه استمرت سنة وثلاثة أشهر وأياماً، فإن عمره يوم مقتله نحو ست عشرة سنة وأشهراً. الصفدي، الوافي، ج١١، ص١٨٢ - ١٨٣؛ ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج٨، ص٢٦٣.

(٦١) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٧١٥؛ ابن حجر، الدرر، ج١ ، ص٨٠.

(٦٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٧٢٠ - ٧٢١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١٢٣.

(٦٣) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٧٢١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١٢٤.

(٦٤) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٧٢٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١٢٥.

(٦٥) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٧٢٥-٧٢٦؛ ابن حجر، الدرر، ج١، ص٨٠؛ ج٢، ص٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١٢٥-١٢٦؛ ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج٨، ٢٦٣.

(٦٦) هبة الله بن سعد الدولة إبراهيم، كان نصرانيا وأسلم، فسمى نفسه عبدالله، تولى نظر الخاص في سلطنة الصالح إسماعيل سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م، وتولى نظر الجيش والوزارة الواحدة بعد الأخرى، ثم اجتمعت له الوظائف الثلاث جميعا في سلطنة الصالح صالح. انظر ترجمته في ابن حجر، الدرر، ج٤، ص٤٠٠-٤٠١.

(٦٧) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٩٢٠؛ ابن حجر، الدرر، ج١، ص٨٠.

(٦٨) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٩٢٠؛ ج٣، ص١٠٠؛ ابن حجر، الدرر، ج١، ص٨٠.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٦٩) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٧٢٦-٧٣١؛ ابن حجر، الدرر، ج٢، ص٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١٢٥-١٣٢.

(٧٠) أرقطاي النائب كان من مماليك الأشرف خليل بن قلاوون، وأصبح جمداراً في أيام الناصر محمد، تولى نيابة حمص، ثم نيابة صفد، واستدعاه الناصر إلى القاهرة سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٦م، وعمل نائب غيبة إذا غاب الناصر في الصيد، ثم انتقل أواخر أيام الناصر إلى طرابلس نائباً. واعتقل في سلطنة الأشرف كجك، ثم أفرج عنه في سلطنة الصالح إسماعيل، وتولى نيابة حلب في سلطنة الكامل شعبان، ثم عزل بعد أشهر قليلة. ولما تسلطن المظفر حاجي رسم له بنيابة مصر، وبعد خلع المظفر وسلطنة الناصر حسن طلب نيابة حلب بدلاً من نيابة مصر، فرُسم له بذلك. وتوفي في جمادى الأولى سنة ٧٥٠هـ/يوليو ١٣٤٩م. الصفدي، الوافي، ج٨، ص٢٣٣ ومابعدها.

(٧١) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٧٣٥، ٧٣٩-٧٤٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١٣٢، ١٣٥.

(٧٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٧٤٠، ٧٤١.

(٧٣) يلبغا اليحيوي نائب دمشق، كان واحداً من أقرب الأمراء إلى الناصر محمد بن قلاوون. وظل أميراً جليل القدر في عصر أبناء الناصر فتولى نيابة حماه ثم دمشق، إلى أن غضب عليه المظفر حاجي، فألقي القبض عليه، ثم قتل في جمادى الأولى ٧٤٨هـ/أغسطس ١٣٤٧م. الصفدي، الوافي، ج٢٩، ص٢٢-٢٦.

(٧٤) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٧٤١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١٣٦؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج١، ق١، ص٥١٥-٥١٦.

(٧٥) الصفدي، الوافي، ج١١، ص١٨٤؛ ج١٢، ص١٦٦؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٧٤١-٧٤٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١٣٦-١٣٨؛ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٥، ص٥١٠؛ ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج٨، ص٢٦٣.

(٧٦) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٨٤٢، ٨٤٣؛ ج٣، ص٦٠-٦١.

- منجك اليوسفي هو أحد المماليك الكبار في دولة الناصر محمد بن قلاوون وأبنائه، تولى وظائف عدة منها الوزارة والإستادارية في شوال سنة ٧٤٨هـ/يناير ١٣٤٨م. وكان قوياً في وظائفه معتمداً على أخيه بيبغاروس نائب السلطنة. وبعد نكبة أخيه سنة ٧٥٢هـ/١٣٥٢م أُلقي القبض عليه وسجن، ثم أفرج عنه سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م، واستقر في نيابة طرابلس، ثم ولي حلب في ربيع الأخر سنة ٧٥٩هـ/مارس ١٣٥٨م، ومات في سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٤م. الصفدي، الوافي، ج٢٦، ص١٨ وما بعدها؛ ابن حجر، الدرر، ج٤، ص٣٦٠-٣٦١.

- شيخو العمري هو أحد المماليك الناصرية محمد بن قلاوون، وأصبح واحداً من أمراء المشورة في سلطنة الناصر حسن، وصار متحكماً في أمور الدولة، ثم ألقي القبض عليه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وسجن في سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م. ولما تسلطن الصالح صالح أفرج عنه في رجب سنة ٧٥٢هـ/أغسطس ١٣٥١م. وعاد الناصر حسن إلى السلطنة، وظل شيخو قوياً في دولته، فصار أتابك العسكر، ولقب بالأمير الكبير، وهوأول من سمي بهذا اللقب. طعنه أحد المماليك، ومات على إثر هذه الطعنة في ذي القعدة سنة ٧٥٨هـ/أكتوبر ١٣٥٧م. الصفدي، الوافي، ج١٦، ص١٢٤ ومابعدها؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٦، ص٢٥٧ وما بعدها.

(٧٧) شادّ الدواوين أو المشدّ، مفتش، فيقال شادّ الدواوين أي الذي يفتش على الدواوين ويراجع حساباتها، ومثله شادّ الجوالي وشادّ الزكاة، ويسمى التفتيش شدّ فيقال شدّ الدواوين أى التفتيش عليها. سعيد عاشور، العصر المماليكي، ص٤٣٣.

- Rabie, op. cit., pp 150-153.

(٧٨) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٧٤٥؛ ابن حجر، الدرر، ج٢، ص٣٨.

(٧٩) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٧٤٥-٧٤٦؛ ابن حجر، الدرر، ج٢، ص٣٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١٤٩.

(٨٠) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٧٤٦؛ ابن حجر، الدرر، ج٢، ص٣٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١٤٩.

(٨١) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٧٤٨-٧٤٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١٥٠.

(٨٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٨٠٩-٨١٠.

(٨٣) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٨١٠-٨١١.

(٨٤) الصفدي، الوافي، ج١٢، ص١٦٦-١٦٧؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٨٢٢، ٨٤٠، ٨٤١.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٨٥) صرغتمش هو أحد المماليك الناصرية، وهو مدبر دولة الناصر حسن بعد وفاة الأمير شيخو. ألقي القبض عليه وسجن بالإسكندرية إلى أن مات في ذي الحجة سنة ٧٥٩هـ/نوفمبر ١٣٥٨م. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٦،ص٣٤٢.

(٨٦) الصفدي، الوافي، ج١٦، ص١٥٦؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٨٤٣، ٩٢٩-٩٣٠؛ ج٣، ص١.

(٨٧) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٦٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص٢٤٧؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج١، ق١، ص٥٧٩.

(٨٨) ابن كثير، المصدر السابق، ج١٨، ص٦٢٤؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٦٠-٦١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص٢٤٣-٢٤٥.

(٨٩) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص٢٤٧؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج١، ق١، ص٥٧٩. وعطعط هذا اسم أحد ندماء السلطان، وكذا الدخان اسم مشبب من ندمائه.